القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

موسى والرجل الصالح

عبد الحميد جودة السحار

١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أخذت مكتبة الطفل في السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها في جملته على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجمًا أو معربًا .

وفي القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه في مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا في هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول : أن تكون النصوص القرآنية هي المصدر الأول لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن في هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة . والثاني : أن نحقق السرد الفني للقصص بما يربي في الطفل الشعور الديني ويقوي الحاسة الفنية وينمي الذوق الأدبي .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هي الحلقة الأولى ؛ وهناك حلقة ثانية وحلقة ثالثة وحلقة رابعة ؛ وأما الحلقة الثانية فهي خاصة بقصص السيرة - سيرة الرسول ﷺ . وظهرت في أربعة وعشرين جزءا ؛ وأما الحلقة الثالثة فهي خاصة بالخلفاء الراشدين وظهرت في عشرين جزءاً ، وأما الحلقة الرابعة فستعرض صور البطولات الإسلامية في جميع العصور .

وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد الفرقة الجوية محمد محمد فرج الذى اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

ونرجو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، والله ولي التوفيق .

المؤلف

١

تفرّقَ بنو إسرائيلَ في الصَّحراء ، بسببِ عِصيانهم لأوامرِ اللّه ، وتاهُوا في الرّمال ، فلم يَعُدْ أحدٌ منهم يَعرِفُ مكانَ أخيه .

أمّا موسى فسارَ ومَعهُ فتىً من قومِه ، كانَ يتابعُه دائِما ، ويُساعِدُه في قضاءِ حوائِجه ، وتحضيرِ طعامِه وشرابه .

وكان اللّه قد وعَدَ موسى أنْ يَجْمَعه برجُلٍ صالحٍ عالم ، يُعلِّمُه أشياءَ كثيرةً لا يَعلَمُها ، وأخبرَه أنّه سيَلقَى هذا الرجلَ عندَ مجمَع البحرَين ، أى في الجهةِ التي يلتقِي فيها البحرُ الأحمر بالتُّرعة الخارجة من فرع النيل .

فقال موسى لفتاه : لا بدَّ أن أسير وأسيرَ حتى

أصِلَ إلى مَجْمَعِ البحرَين . حتى ولو ظَلَلْتُ أسيرُ أعوامًا طويلة .

ثم سارا ، وسارا ، وسارا .

وكان الغُلامُ قد اصطادَ حُوتًا من السمك ، ليصنعَ منه غداءً لموسى ولنفسِه ، فلمَّا وصلا إلى نُقطَةِ التقاءِ البَحرَين ، وجدا هناكَ صخرةً كبيرة ، فَجَلَسا عليها يستريحان ، ووضَعَ الفتى حُوتَه بجانِبِه ونَسِيَه ، فتسَرَّبَ إلى البَحرِ ودبّت فيه الرُّوح وغاص .

وانتظَرَ موسى فلم يجِدْ ذلك الرجلَ الصالِحَ العالِمِ ، فقامَ يمشي ومَعَه فتاه ، يبحثُ عنه هنا وهناك ، حتى ابتعَدا عن مَجْمَعِ البحرين .

ولَمَّا أَحَسَّ موسى الجوعَ والتعب ، جلس يستريح .

« قال موسى لفتاه : آتِنا غَداءَنا ، لقَد لَقِينا من سَفَرِنا هذا نَصَبا » .

عندئذ تذكَّرَ الفتى أنّه نَسِيَ الحُوتَ عِندَ الصخْرة .

« قال : أرأيتَ إذ أوَيْنا إلى الصَّخْرة ؟ فإني نَسيتُ الحُوتَ . وما أنْسانِيهُ إلا الشيطانُ أن أذْكُرَه . واتّخذَ سبيلَه في البحر عَجَبا .. » .

ووقف الفتى خَجِلا .

أمّا موسى فقال في نفسِه : لا بُدّ أنّ اللّهَ يُريدُ أن نرجِعَ إلى مَجْمَعِ البحرينِ ، لألْقَى ذلك الرجُلَ الصّالِح . فَسُرَّ في نفسِه ، وطمأنَ الفتَى ! قال : « ذلكَ ما كُنّا نَبْغِ » .

وعادا إلى مجمعِ البحرين ، وعندَ الصَّخْرَةِ نظَرَا فوَجَدا ذلكَ الرّجُلَ الصّالح الطّيِّب القلب ، الرّحيم العالم ، الذى وَعَدَ اللّه موسَى بِلِقائِه .

« قال له موسى : هل أتّبِعُكَ على أنْ تعَلّمَني مما عُلِّمْتَ رُشْدا ؟ »

« قال : إنَّك لنْ تستطيعَ معِيَ صَبْرا ، وكيف تَصْبِرُ على ما لَمْ تُحِطْ به خُبْرا ؟ » .

« قال : ستجِدُني إن شاءَ اللّه صابِرًا ولا أعصي لكَ أمرا » .

قال الرجُلُ الصالِح : إذا كُنتَ ستتّبعُني فلا تَسألْنِي عن أيِّ شيءٍ تراني أعْمَلُه إلاّ إذا حَدَّثْتُكَ أنا عنه .

٢

سارَ الرَّجل الصالِح وموسَى معه ، حتى وصَلا إلى مكانٍ تَرْسُو فيه المراكِب ، فرَكِبَ في سفِينةٍ منها ، ورَكِبَ موسى معه .

وبينما السَّفينةُ في وسَطِ الماء ، إذْ نَظَرَ موسى ، فوَجَدَ الرجلَ الصَّالحَ قد أخَذَ مِسمارًا ومِطْرَقة ، وأخَذَ يَخْرِقُ السفينة ، حتى أحدَثَ فيها ثُقْبا .

فَزِعَ موسَى وخافَ علىَ المركبِ أن تغرق ، وتوجَّهَ إلى الرجلِ يسأله فى حَيرة : « قال : أخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أهلَها ؟ » لقد فَعَلْتَ فعلا رَدِيئًا فظيعا !

لم يَغضَبِ الرجلُ ولم يَكشر ، ولكنَّه قال :

« ألم أقلْ : إنَّكَ لنْ تَستَطيعَ مَعِىَ صبرا ؟ »

عندَ ذلك تذَكَّرَ موسى أنَّ الرجـلَ شَرَطَ عليه ألاَّ يتكلَّم عن شىءٍ مما يراهُ أو يَسْمَعُه مما يعمَله الرجـل ، إلا إذا حدَّثه هو عنه . فَخَجِلَ واستَحيا .

« قال : لا تُؤَاخِذنى بما نَسيتُ » .

ووعَدَه مرةً أخرَى أن يسكُتَ ، فلا يَتكلَّمَ ولا يسألَ أبدا .

ونَزَلا من السَّفينَة ، وتركاهـا تَسير ، وسارا فى طريقِهما .

وبينما هما يسيرانِ إذْ وجَدَا غُلامًا صغيرًا يلعَـب ،

فأمْسَكَ به الشّيخُ وقَتَلَه .

رأى موسى هذا الفِعل ، فغَضِبَ غَضَبًا شديدا ، كيف يقتُلُ الرجلُ هذا الطّفلَ البرىء ، الذى لم يفعَلْ ذنْبا ؟ ونَسِىَ الشّرط ، ولم يَعُدْ يستَطيعُ السكوت ، فصرخَ فى الرجل :

« قال : أقَتَلْتَ نَفْسًا زكِيّةً بغَيرِ نفس ؟ لقدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرا » . أى لقد عمِلتَ ذنبا عظيما ، حينَ قَتلْتَ هذه النّفسَ الطاهِرةَ التى لم تَقتُلْ أحدا .

فلم يغضَب الرجل ، ولم يكشّرْ ، ولكنه قال :

« ألم أقُلْ لكَ : إنّكَ لنْ تَستَطيعَ معِىَ صَبرا ؟ » .

عند ذلك خجِلَ موسى خجلا عظيما ، وعَزَمَ على ألاّ يتكلّمَ بعدَ الآن ، وإذا تكلّمَ فإنّ الرجلَ يكون معذورا إذا فارَقَه ، ولم يُصاحِبْه ، قال : « إنْ سألْتُكَ عن شىء بعدَها فلا تُصاحِبْنى ، قدْ بلَغْتَ من لَدُنّى

عُذْرا » .

وسارا فى طريقهما .

وظلاَّ سائِرَين حتى دَخَلا قَرْية ، ولم يكن معهُما طعامٌ ولا نُقود ، وقد جاعَ موسى وجاعَ الفَتى الذى معه . فتقَدَّمَ الرجلُ ومعه موسى إلى أهلِ القريةِ يَطلُبانِ طعاما ، ولكن أحدًا لم يُرِدْ أن يُعْطِيَهُما شيئا ، واشتدَّ عليهما الجُوع ، وكلَّما سألا واحِدًا من أهلِ هذِه القريةِ قال : نحنُ لا نُعطِى طعامَنا بلا ثَمَن . فاذهَبا فَلَن نُعطِيَكُما .

وبينما هو يسيرانِ فى المدينة إذْ وجَدا جِدارًا مائِلا ، يريدُ أن يَنهَدِم ، فقَرُبَ الرجلُ من الحائط ، وكوَّمَ التّرابَ حولَه ، وجاءَ بالماءِ وعَجَنَه حتى صارَ طِينا . وأخذَ يُرَمِّمُ هذَا الحائِطَ ويُقَوِّيه ، وموسى يُساعِدُه وهو ساكِت ، حتى انتهى من عمِلِه ،

وأصبحَ الجدارُ متينًا لا يسقُط .

وعندما أرادَ الرجُلُ أن ينصرِفَ قالَ موسَى : الآنَ وقَدْ رمَّمْتَ هذا الجدارَ فى تلك القرية ، التى لا نجِدُ فيها طعامًا ولا نقودا .. ألا تستطيعُ أن تطلُبَ أجرًا على هذا العمل ! إنَّك لو شئتَ لاتَّخَذْتَ عليه أجرا .

ونظرَ الرجلُ إليه وهو يبتسم ، « قال : هذا فِراقُ بينى وبينِك ، سأنبِّئكَ بتأويلِ ما لم تستَطِع عليه صبْرا » أى سأخبِرُكَ عن سرِّ هذه الأشياء التى لم تتمكَّنْ من الصَّبرِ عليها .

٣

جلسَ الرجلُ كالمُعلِّم ، وجلسَ موسى أمامَه كالتلميذ ، وأخذَ الرجلُ يشرحُ سرَّ هذه الأعمالِ الثلاثةِ العجيبة ، التى قام بها وموسى لا يَعرِفُها .

قال : أتذكرُ تلك السَّفينة التى خرقتُها ونحنُ فى وسطِ البحر ؟

قال موسى : نعم ، وقد كِدْتَ تُغرِقُنا ، ولا بُدَّ أنها غَرِقَتْ فى الطريق .

قال : هذه السفينة يَملِكُها جماعةٌ من المساكين ، يعمَلونَ فى البحر ، ويرتزِقونَ منها ، وكان فى طريقِهم مَلِكٌ ظالِمٌ يأخذُ كل سفينةٍ صالِحةٍ غَصْبا ، وقد أعلَمَنى ربى أنَّ هؤلاء المساكين سيظَلُّونَ سائرينَ حتى يصِلُوا إلى أرضِ ذلك الملك الظالِم ، الذى يأخ السُّفُنَ السَّليمةَ بالغصب ، فأردْتُ أن أعيبها به الخَرْقِ الذى خرقْتُهُ حتى إذا رآها المَلِكُ الظالم مخرو لم يأخذْها ، وتركها لهم لِيَعيشوا منها .

قال موسى : معك حقٌ . اعذرنى إننى لم أك أعرِفُ ما تعرِفُه أنت ، مما علَّمَك ربُّك ، ولكن م

ذنبُ هذا الغلامِ البريء الذى قتلْته ؟

قال الرجل : لقد أعْلَمَنى ربِّى أنَّ والِدَىْ هذا الغُلامِ طَيِّبان ، أمَّا هو فولَدٌ شرِّير ، وإذا كبِرَ كان كافِرا ، وسبَّبَ لوالِدَيه الطَّيِّبِين مصائب كبيرة ، بسببِ كُفرِه وظُلْمِه ؛ وقَدْ أرادَ اللّه أن يموتَ هذا الغلام الشرير ، ليرزُقَ والِدَيه خيرًا منه وأصلَح ، وهذا قتَلْته كما أرادَ ربِّى .

قال موسى : معَكَ حقّ ، اعذُرنى فإنّنى لم أكُن أعرفُ مما تعرِفُه أنت ، مما عَلَّمَك ربُّكَ .. ولكن لماذا تركْتَنا بالجُوعِ ولم تأخُذْ أجرًا على الجِدار الذى أقَمْتَه ورَمَّمْتَه ، فى تلك البلْدَة البخيلة ، التى لم تُطعِمنا ونحنُ جِياع ؟

قال الرجل : « أمَّا الجِدارُ فكان لغُلامَيْنِ يتيمَيْنِ فى المدينة ، وكانَ تحته كنز لهما ، وكان أبوهُما صالِحا ،

فأرادَ ربُّكَ أن يبلُغا أشُدَّهُما ، ويستَخْرِجا كنزَهُمـا »
ولو أنّنى تركتُ الجدار يتهدّم ، لَظَهَرَ هذا الكنزُ تحته،
ونَهبَه أهلُ القَرية من الغلامَين الصغـيرين ، اللّذين لا
يقدِران على حماية مالِهمـا ، أمّا الآن فَسَيبقَى الكَـنزُ
تحتَ الحائِط حتى إذا كـبر الغلامـان ، وصـارا شـابّين
قويّين ، فإنّما سيُخرِجان الكَنز ، وينتفعان به .

وهكذا أرادَ اللّه ، وما فَعَلتُ شيئا مما فعلته إلا بأمرِ
اللّه . وهذا تفسيرُ تلكَ الأعمـال التى لم تسـتطِع أن
تصبِر عليها يا موسى .

٤

رفعَ موسى وجهَه إلى السّماء ، لِيشـكُرَ اللّـه على
نِعمتِه ، بلقاءِ هذا الرجل الصالح الـذى علّمَـه أشياءَ

كثيرةً لم يكنْ يعلَمُها : علَّمَه كيفَ يصبرُ ولا يغضَب ، ولا يلومُ النّاسَ على الأشياءِ التي لا يعرِفُ سِرَّها ، بل يسألُ أوّلا ليعْرف لماذا صنَعُوها ، فقد يكونُ لهم عُذرٌ فيها ، وربّما كانت نيّتهم حَسَنةٌ ولا يقصِدونَ بها شرًّا .

وعَلَّمَه أنّ الإنسانَ لا يجُوزُ أن يغْترّ بنفسِه ، فيظُنّ أنّه يعرِفُ كلّ شيء ، وأنّه لا يُوجَدُ مَن هو أعْلَمُ منه ، ومن يعرِفُ أكثَرَ مما يعرِف ، وأنّه يجبُ عليه أن يسألَ ليتعَلّم ، لأنّ هناكَ مَن هو أعْلَمُ منه .

وعَلّمَه أنّ الإنسانَ لا يعرِفُ أشياء كثيرة ، وأنّ اللّه وحْدَه هو الذي يعلمُ جميعَ الأشياءِ وجميعَ الأخبار ، وأنّ اللّه يصنعُ للناسِ أشياءَ كثيرة تُفِيدُهم ، ولكنهم هم قد يَجهلُونَ لماذا يصنَعُها اللّه لهم ، لأنهم لا يعلَمونَ سِرّ هذه الأشياء . وقد يظُنّونَ أنّها أعمالٌ

ضارَّةٌ ، ولكنَّها فى الحقيقة تكونُ نافِعَة : كَخَرْقِ السَّفينةِ وقَتْلِ الغُلامِ الشِّرِّير .

وعَلَّمَه أنَّ الإنسانَ يجبُ أن يعمَلَ الخَيرَ حتَّى من غيرِ أجرٍ عليه ؛ لأنَّ هذا الخَيرَ يُفيدُ بَعضًا آخَرَ من الناسِ الطَّيبين ، كما صنَعَ الرجلُ الصالِحُ فى تَرميم الجِدارِ الذى كان يُريدُ أن ينقَضَّ .

... ثم نظرَ موسى إلى جانِبه ، فلَمْ يَجِدْ للرَّجلِ الصالِحِ أثرا ، أينَ ذهبَ ؟ كيفَ اختفى ؟ عِلْمُ ذلك عندَ اللَّه ، ولا يعلَمُ أحَدٌ إلا اللَّه .